

منطق اللوبي الإيراني : حججه وحدوده

البيان - ٢١ / ١٠ / ١٨٨١

بقلم: غسان سلامة*

كاتب هذه الأسطر رصد

من واشنطن كيف تحركت

إيران وكيف تحرك

لكسب الصوت الأميركي.

اذن كان القرار ٥٩٨ نتيجة مؤامرة عراقية - اميركية يكاد اصديقاء ايران ان يضعوها في مصاف صفقة ايران - غيت. وان كان الامر كذلك فلماذا انتهت ايران الى قبول هذا القرار التأميري؟ يجب اصديقاء ايران ان ميزان القوى العسكري على الارض تغير خلال سنة ٨٧ - ١٩٨٨ بحيث ان معنى القرار ٥٩٨ انقلب رأسا على عقب. فنص القرار كان هدفه حماية العراق بعد ضغط ايران على البصرة وبعد احتلالها حلبجة وبدء تسليحها الكراد بصورة مكثفة. أما خلال سنة ١٩٨٨، فقد استطاع العراق تحرير اراضيه بل واحتلال بعض الأراضي الإيرانية بحيث أصبح هناك تهديد لا للاراضي الإيرانية فحسب بل للنظام الإيراني نفسه من هنا لجأ الإيرانيون الى القرار ٥٩٨ بحتمون به بعد ان كان هذا القرار نفسه، قد صيغ مثل ذلك بسنة، لحماية العراق. وليس لحماية ايران.

ويرى المنطق الإيراني ان هذا الانقلاب في معنى القرار ٥٩٨ الفعلي، لم يفت الرئيس العراقي. من هنا تخمينتهم (وهو تخمين ما زال يحتاج لإدلة ثبوتية) ان القيادة العراقية فوجئت بقبول ايران وقف اطلاق النار وامتعضت منه وراحت تزيد العراقيل أمام تطبيق القرار ٥٩٨، لأنها كانت تفضل استمرار القتال على وقفه، بعد تبدل ميزان القوى لصالح بغداد. ويقول هؤلاء ان العراق، حتى اليوم، ما زال يفضل لو عادت الحرب الى مجاريها. والنية واضحة هنا في طمس ذكرى تأخر طهران بقبول القرار ٥٩٨ من خلال اتهام العراق (الذي سارع الى قبوله وقت تبنيه) بأنه هو الذي أصبح العنبة امام السلام، مما يعني أنه على

كان يمكن، يقول اصديقاء طهران، حصول تقارب غربي - ايراني. ولكن العكس هو الذي حصل. لماذا؟ لأن العراق قرز رفع حدة القتال عبر الصواريخ العديدة المدى وعبر التهديد المستمر لنقلات النفط الإيرانية. وبدلا من ان تحاول واشنطن ردع العراق، يزعم هؤلاء، انها تقربت منه الى حد أن وزير الدفاع الأميركي السابق كاسبار واينبرغر دعا علناً لإسقاط النظام في ايران.

من هنا ضياع فرصة تمنية، برايمهم، سيما وان واشنطن ستقرر أيضا حماية الناقلات الكويتية وتعزيز قدرتها في الخليج. ويربط هذا المنطق ايران - غيت بهذه السياسة الأميركية المتفهمه للعراق. اذ يرى ان الادارة طمست الفضيحة وهذات مشاعر البلدان الخليجية، بتأييد العراق.

وينطلق هذا المنطق في تحليله الى حد يقارب اتهام الادارة بالتواطؤ الفعلي مع العراق. مركزاً على زيارة ريتشارد مورفي (مساعد وزير الخارجية الأميركية لشؤون الشرق الأوسط) الى بغداد في ١١/٥/١٩٨٧ حيث يرى مؤيدو ايران أن واشنطن تعهدت حينذاك للعراق بوقف السلاح الغربي عن ايران تماماً. كيف يكون ذلك؟ على خطوتين. يقول هؤلاء، الأولى هي استصدار قرار من مجلس الأمن يهتد بقطع السلاح عن أي طرف يرفض القرار (وبالفعل صدر القرار ٥٩٨ بعد ذلك بشهرين) والخطوة الثانية هي استصدار قرار ثان عن مجلس الأمن بقطع

السلاح فعلاً. لكن المؤامرة، يقول اصديقاء طهران، هي في استصدار القرار الاول بحيث تكون عناصره غير مقبولة في طهران. من هنا يستنتج مؤيدو طهران أن القرار ٥٩٨ قد تم وضعه في واشنطن مع العلم المسبق بان ايران ستترفضه بالضرورة فتجلب على نفسها بالتالي، غضب المجتمع الدولي. ومقاطعة مصدري السلاح، بمن فيهم الصين والاتحاد السوفياتي. ولكن، إن كان الأمر وصل الى هذا الحد، فلماذا يقبل به الاتحاد السوفياتي؟ يجب اصديقاء ايران أن مرد ذلك حالة الانقراض الدولي، وخوف موسكو على العراق آنذاك وغضب السوفيات من الصفقة الإيرانية - الأميركية التي فضحتها قصة ايران - غيت.

■ لم يتوقف اللوبي الإيراني عن العمل يوماً في الولايات المتحدة، لكن تحجر موقف القيادة الإيرانية العليا من غير مسألة، وفضيحة ايران - غيت، وبالتالي الاصدامات العسكرية الإيرانية - الأميركية في الخليج، وقضايا الرهائن، عناصر أسهمت في جعل صورة ايران قائمة للغاية داخل الادارة الأميركية والرأي العام. من هنا كان على لوبي الانفتاح على ايران أن يعمل وسط ظروف تزداد سوءاً خصوصاً أن طهران رفضت لسنة كاملة القرار ٥٩٨ الصادر عن مجلس الأمن، والذي وضعت الولايات المتحدة ثقلها بكامله وراءه.

لكن مفاجأة الصيف الكبرى (قبول ايران المتأخر بالقرار)، أعطت اللوبي الإيراني أصلاً جديدة، وان كان قبول القرار «كاساً من السم» وفقاً لتعبير الخميني، فإن تخسين العلاقات بين طهران وواشنطن جرعة سم أخرى وفقاً لخطة غير زعيم ايراني. وبالتالي فقبول القرار المذكور لا يعني انتقال ايران التقائي الى علاقات طبيعية مع دول العالم خصوصاً الغربية منها. فهذه مسألة وتلك أخرى. والقبول بقرار دولي وفقاً للمتشددين في ايران، لا يؤول بالضرورة الى تطبيع العلاقات مع واشنطن.

غير أن أطرافاً أميركية كثيرة تعمل، بالتنسيق مع هاشمي رفسنجاني، بهدف توظيف الموقف الإيراني الجديد بهدف تحسين العلاقات الإيرانية - الأميركية. والذي يزورواشنطن اليوم سيلتقي غير عامل في هذا المنحى فما هو المنطق هؤلاء؟ يقول المنطق المؤيد لإيران ان طهران استنجحت منذ فشل كربلاء ٥ ضد البصرة في الأسابيع الأولى من ١٩٨٧ انها عاجزة عن ربح الحرب، وذلك بفعل خسائرها في محيط البصرة والتي كانت هائلة. وكانت ايران، خلال ١٩٨٦، حصلت على ترسانة عسكرية كبيرة، جلبها من الصين واسرائيل والولايات المتحدة. لكن الفشل كان ينتظرها في ضاحية البصرة الشرقية. ومن هنا الإقرار الضمني بان لا سبيل لإنتصار عسكري، لاستحالة التهيئة الواسعة كما قبل كربلاء ٥.

هذا المنطق الإيراني ينتشر منذ مطلع الصيف المنصرم كقطعة الزيت في عذم الدوائر الأميركية. ولا ريب أن قوى عديداً تدعو إليه، لغايات في نفسها. ويلقى هذا المنطق قبولا واضحاً في الأوساط المشهور تقليدياً بتأييدها لإسرائيل. لكن الإدار الحالية، على الرغم من بعض التموجات، زالت ترفض هذا المنطق حتى الساعة.

أما السبب في ذلك فهو يعود أولاً، إل حزم الموقف الخليجي، خصوصاً السعود والكويتي، الذي ما زال في إجماله مؤيد لصلب الموقف العراقي، مع بعض التحفظا التفصيلية.

والسبب الثاني أن صورة ايران، وصورة أية الله الخميني بالذات ما زالت صورة قائمة في الرأي العام الأميركي، لا سيما وأ الرهائن الأميركي لم تخرج بعد من أسرهم والزمن اليوم زمن انتخابات، وليس م حجرى على اللعب بالنار خوفاً من غضب الرأي العام ازاء أي صفقة غير مقنعة. لك السبب الأساسي لاستمرار الفشل في جمع هذا المنطق سياسة حكومية يعود الي القيادة الإيرانية نفسها.

ذلك ان هذه القيادة قد قبلت القرار ٥٩٨ لكنها حتى الساعة لم تقبل فعلاً التغيير الجذري في السياسات التي اتبعتها خلال العقد المنصرم. ولا شك في ان تلك طهران، في تمتين علاقاتها بالاتحاد السوفياتي (لأسباب تاريخية وايدولوجية وجيوستراتيجية واضحة) من شأنه ان يدفع واشنطن الى الإسراع في تطبيع العلاقات مع طهران. وطهران نفسها لم تقبل بعد تماماً مبدأ هذا التطبيع من هنا، فإن تقدم طهران على خطوات حثيثة تثبت أنه قد تخلت نهائياً عن هذه السياسات، وان لم يظهر بوضوح ان التيار الثوري المنطرف في ايران قد تم تهميشه (وهذا ما لم يظهر في الانتخابات النيابية الأخيرة) فمن غير المتوقع حصول تبدل جذري في الموقف الأميركي، حتى غداة الانتخابات الرئاسية المقبلة.

* أستاذ العلوم السياسية في جامعة باريس الأولى، ومعهد العلوم السياسية في باريس.